

التربية والتعليم في منطقة سطيف خلال الحرب العالمية الثانية وعلاقتها بانتفاضة ومجازر 8 ماي 1945 (محاولة لكتابة تاريخ محلي، بلدية تاقيطونت المختلطة نموذجاً).
سيد أحمد بن نعماني – جامعة الجزائر

في إطار المجهود الذي تبذله المدرسة التاريخية الجزائرية لكتابة التاريخ المحلي لجهات الوطن الغالي، أقترح هذه الدراسة المتواضعة والموسومة: النضال في مجال التربية والتعليم في منطقة سطيف خلال الحرب العالمية الثانية وعلاقته بانتفاضة ومجازر 8 ماي 1945 (محاولة لكتابة تاريخ محلي، بلدية تاقيطونت المختلطة نموذجاً)

من مظاهر ظلم السلطات الاستعمارية للجزائريين في منطقة سطيف عامة وفي بلدية تاقيطونت المختلطة خاصة على غرار كل مناطق الجزائر، تعمدتها إهمال الحياة الثقافية لإفشاء الجهل في أوساطهم، وبقاء الاحتلال للبلاد والاستغلال للعباد، ومع ذلك تميزت البلدية بكثرة المؤسسات القرآنية والمساجد، وتمسك السكان الجزائريين بثقافتهم ومقوماتهم الشخصية من دين ولغة، وتبلور ذلك عملياً في مظهرين اثنين تمثلتا في الزوايا والطرق الدينية الصوفية ومؤسساتها القرآنية (التعليم التقليدي)، وفي مدارس التعليم العربي الحر (التعليم الحديث) الذي ازدهر في البلدية أثناء الحرب الكونية الثانية، وأشرف عليه مجموعة من الرجال المخلصين و المصلحين من المنخرطين والمتعاطفين مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولهذا رأينا من الضروري تسليط بعض الأضواء على هذا التعليم وتوضيح عدة مسائل ومنها:

تعريف بلدية تاقيطونت المختلفة، وكيف كان حال التعليم فيها بأنواعه المختلفة خلال العالمية الثانية؟ من كان الأكثر تطوراً وازدهاراً واستقطاباً للجزائريين؟ ما هو موقف سلطات الاحتلال المحلية من التعليم بأشكاله المختلفة؟ وما هي العلاقة بين النشاط التعليمي في البلدية وما جرى من انتفاضة الجزائريين وما ارتكبه الفرنسيين من مجازر مروعة في حقهم يوم 8 ماي 1945 وما تلاه من أيام بل من أشهر؟

I. تعريف بلدية تاقيطونت المختلطة

البلدية المختلطة (La Commune Mixte) تعد نوعا خاصا من البلديات التي عرفت الجزائر المستعمرة، وقد تطورت لتظهر بعد سنة 1875م على شكلها النهائي. هذا النوع من البلديات ليس له مثيل في العالم. فهي في ذهنية المشرع الاستعماري، مرحلة انتقالية إلى البلديات ذات الصلاحيات الكاملة أي التي يتمتع سكانها بحياة ديمقراطية حقيقية، وفي ذهن المشرع أيضا أن الكتلة الأوروبية القليلة المقيمة في هذه البلديات تعمل على تأهيل الجزائريين على حياة البلدية، وريثما تبلغ هذه الأخيرة مرحلة النضج، حينئذ ترتقي البلدية المختلطة إلى بلدية كاملة الصلاحيات يتمتع سكانها بكامل الحقوق الديمقراطية. 1

يقدر متوسط مساحة البلديات المختلطة 1000 كلم، ويطغى على تركيبها الاجتماعية العنصر العربي المسلم الذي يشكل الأغلبية الساحقة فيها والذي يفوق نسبة 90 % من مجموع سكان البلدية، حيث يقيم بها 3/2 من مجموع الكتلة الجزائرية، و1/10 من مجموع كتلة المستوطنين الذين كانوا متواجدين بالجزائر. 2

وقد كان يمثل السلطة العليا في هذه البلدية الحاكم الإداري برتبة متصرف إداري « Administrateur » الذي يلقبه الجزائريين الخليفة، والذي يعين من قبل الحاكم العام أو من قبل عامل العمالة ويساعده أعوان من الأوروبيين والمسلمين معينين أيضا من قبل الحاكم العام، وللمتصرف مكتب إداري يتكون من كتاب أوروبيين وجزائريين (خوارج). 3

وهكذا كان يجسد حاكم البلدية المختلطة السلطة الاستعمارية بكل سماتها فهو يمثل رئيس البلدية وموظف الدولة، وبعبارة أخرى فهو يجمع بين يديه كل السلطات السياسية والعسكرية والمدنية، وبالتالي فإن صلاحياته تفوق صلاحيات رئيس البلدية ذات الصلاحيات الكاملة. 4

تميزت أعمالهم وسلوكا تهم بالغطرسة وعدم الاكتراث بطلبات الجزائريين المسلمين و احتياجاتهم الأساسية. وقد عزز التشريع الاستعماري سلطة الحاكم الإداري بقانون استثنائي أطلق عليه قانون الأهالي. 5

بلدية تاقيطونت التي اخترناها كنموذج لدراستنا، تعد إحدى البلديات المختلطة المنتشرة في ربوع الجزائر المستعمرة وقتئذ وبالتحديد في منطقة

سطيف فهي حاليا (عهد السيادة و الاستقلال الوطني) تشغل الحيز الجغرافي الأكبر من شمال شرق ولاية سطيف.

كانت بلدية تاقيطونت المختلطة ثاني أكبر بلدية في الجزائر من حيث المساحة بعد بلدية (فيليفيل) المختلطة (سكيدة حاليا) بعمالة قسنطينة، وتأسست بقرار الحاكم العام الصادر في يوم 25 أوت 1880، الذي ألحقها بدائرة بجاية التابعة لعمالة قسنطينة آنذ، ونص نفس القرار على أنها تتكون من أربعة عشر قسما منها ثلاثة أقسام أوربية (قرى استعمارية) و هي: تيزي نبشار، خراطة و ملحقاتها من مزارع جرمونة، عموشة وملحقاتها من مزارع ثنية التين، بالإضافة إلى إحدى عشر قسما جزائريا (دواوير): جرمونة قلعون، تاقيطونت، متنانو، ثنية التين، قرقور، بني مرعي، بني فولكاي، أولاد صالح، البابور، والدهامشة.6

يبدو أن اسم البلدية أي لفظة تاقيطونت بربرية الأصل، وتعني الخيمة الصغيرة، ولكن اختلفت الروايات حول سبب إطلاق تلك التسمية على منطقة صغيرة من البلدية ثم البلدية بكاملها. فمن الروايات من ترجع التسمية إلى شكل جبل تاقيطونت الذي بني فوقه جيش الاحتلال الفرنسي البرج الحامل لنفس الاسم، حيث يبدو للرأي لهما من بعيد أنهما يشكلان هيئة تشبه الخيمة ومن الروايات الأخرى الشائعة بين سكان المنطقة، أن المكان الذي بني فوقه البرج أعلى قمة الجبل كان يرى فيه الناس خيمة صغيرة تخرج منها أضواء كل يوم جمعة ليلا، ويعتقد معظم السكان، أن وليا صالحا يربط فيه، خاصة وأن المكان كان موحشا وصعب الوصول إليه.7

كان برج تاقيطونت مركزا للبلدية، وبه يقيم المتصرفون المدنيون المتعاقبون على حكم البلدية، وتجتمع فيه اللجنة المسيرة لشؤونها، وتغير مقر البلدية واسمها مؤقتا ليتحول إلى القرية الاستعمارية عموشة، فتسمت باسم هذه الأخيرة بمقتضى قرار الحاكم العام المؤرخ في 20 ديسمبر 1879، لكن سرعان ما استعادت البلدية مقرها الأول و تسميتها القديمة. ففي 1886 تشكلت أقسام جزائرية جديدة تفرعت عن الأقسام القديمة الكبيرة المساحة كقسمي سيدي ميمون وسرج الغول المتفرعين عن دوار البابور، وقسم معاوية المنبثق عن دوار الدهامشة. وفي سنة 1900 غيرت الإدارة أسماء دوايري أولاد صالح وسيدي ميمون ليصبا اسمهما على التوالي دوار وادي البارد و عرباؤون، ومع حلول سنة 1901 تحول مقر البلدية مجددا وبصفة دائمة إلى

[Tapez un texte]

القرية الاستعمارية بيريقتويل (عين الكبيرة حاليا)، و فصلت البلدية سنة بعد ذلك من دائرة بجاية لتلحق بدائرة سطيف بموجب قرار الحاكم العام المؤرخ في يوم 19 فيفري 1902.8

ثم توسعت البلدية من جهتها الجنوبية بضمها لقسمين جزائريين جديدين كانا تابعين لبلدية العلة المختلطة و هما: دوازي أولاد عدوان وأولاد علي بن ناصر بمقتضى قرار الحاكم العام المؤرخ في 04 أوت 1926. وهكذا تكون البلدية قد بلغت مساحتها سنة 1926 الـ 95.939 هكتار، ثم 99.854 هكتار سنة 1940 لتستقر في حدود هذه المساحة إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية.9

و يحد البلدية، كل من بلدية قرقور المختلطة، بلدية وادي المرسى المختلطة، بلدية جيجلي المختلطة، بلدية فج أمزلة المختلطة، بلدية العلة المختلطة، بلدية الأوريسية الكاملة الصلاحيات، وبلدية عين عباسية الكاملة الصلاحيات وتمتد البلدية مسافة 28 كلم من الشمال إلى الجنوب، وعلى بعد 55 كلم من الشرق إلى الغرب.10

في الحرب العالمية الثانية توالى على حكم البلدية كل من بواسان مارسيل (Boissin Marcel) المولود في 22 نوفمبر 1890 من سنة 1940 إلى 1941، روسو (Rousseau René) المولود في 13 ديسمبر 1895 من سنة 1942 إلى 1945 فأحمد بن مبارك المولود في 04 أبريل 1897 من جويلية 1945 إلى أكتوبر 1946.

أما نواب المتصرفين المدنيين، فمن أشهرهم أحمد بن مبارك في مركز خراطة من 1940 إلى 1941، وبانسيل ايف (Bancel Yves) المولود في 03 جويلية 1915 في عين كبيرة (Perigotville) من 1944 إلى 1945، ثم في نفس القرية الاستعمارية روجيرا أندري (Regerat André)، المولود في 03 فيفري 1911 من 1945 إلى 1946، وقراس روجي (Gras Roger) المولود في 08 أبريل 1914 في مركز بني عزيز (Chevreul) سنة 1945، ثم جاء بعده في نفس المركز الاستيطاني بونة كاميل (Beunat Camille) المولود في 02 جانفي 1915.

كما نصبت السلطات الاستعمارية على رأس كل قسم جزائري موظفا جزائريا يعينه الحاكم العام برتبة قايد (Caid)، وقد كان عددهم عند تأسيس البلدية إحدى عشر قايدا، وبقي العدد نفسه لم يتغير حتى سنة 1945. 11

II. حال التعليم في البلدية خلال الحرب (أنواعه، خصائصه، أهم العاملين فيه)

ساد البلدية نوعين منفصلين من التعليم الأول ترعاه وتدعمه بل تتحاز له بطبيعة الحال السلطات الاستعمارية الفرنسية للبلدية، والثاني عربيا أصيلا يرعاه الجزائريين من سكان البلدية ومجموعة من المثقفين المصلحين من الأعضاء أو المتعاطفين مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو الزوايا والطرق الدينية الإسلامية.

1. التعليم الرسمي (الفرنسي - الاستعماري)

كان التعليم الرسمي في البلدية صورة مصغرة لما كان سائدا على أرض الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية، فقد كانت موجودة في البلدية خمسة مدارس فرنسية موزعة على المناطق التي يوجد فيها المستوطنين كخراطة (Kerrata)، عين الكبيرة (Perigotville)، بني عزيز (Chevreul)، عموشة (Amoucha) وتيزي نبشار (Tizi n'bechar)، وأربعة مدارس فرنسية - إسلامية في الفروع الإدارية الجزائرية (الدواوير)، كثيبة التين، وادي البار، بني مرعي وأولاد عدوان .

وكانت المدارس الفرنسية ممنوعة على الجزائريين باستثناء بعض أفراد العائلات الكبيرة المتعاونة مع الاحتلال والتي فضلت إعطاء أبنائها تعليما فرنسيا اعتقادا منها أنه التعليم الأصح لاستمرار امتيازاتها إلى جانب الكتلة الأوروبية، والمدارس المختلطة الفرنسية - الإسلامية كما سبق ذكره، كانت تتركز في الدواوير ، وكانت تهدف إلى إدماج الجزائريين عن طريق تعليمهم الثقافة الفرنسية، وكانوا على قلتهم ينقطعون عن التعليم أو يتسربون تصاعديا خصوصا في مرحلة التعليم الابتدائي وكانت تلك المدارس الرسمية مهما كان نوعها، تتكون من فصل واحد أو فصلين.12

والحقيقة أن هذه المؤسسات التعليمية الرسمية، لم تكن في المستوى من حيث تأثيرها و مستوى تأهيل القائمين بالمهمة التربوية فيها، بل توقف نشاط أغلبها وتراجعت الأخرى في مستواها خلال الحرب العالمية الثانية، وقد اشتكى حاكم البلدية من تلك الوضعية المزرية التي وصل إليها التعليم الرسمي في بلديته لحاكم عمالة قسنطينة وللجهات الأمنية الاستعمارية المختصة، في تقرير مؤرخ في 3 فبراير 1944، حصر فيه أسباب هذا التراجع للتعليم الرسمي ومبديا تخوفه من ازدهار و تطور وإقبال الجزائريين على التعليم العربي الحر خاصة التي تشرف عليه و توطئه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.13

وقد قال بالخصوص ما يلي : « ... من المؤكد أنه إذا قارننا بين التعليمين، الذي تلقاه المدارس الرسمية الفرنسية و الفرنسية - العربية وتعليم

مدارس جمعية العلماء المسلمين كفي خراطة، يبدو جليا أن التفوق لصالح الأخيرة لعدة أسباب منها: توقف نشاط المدرسة الفرنسية - العربية بخراطة منذ 3 سنوات، وتوقف نشاط المدرسة الفرنسية - العربية الكائنة في قرية أولاد مسالي بدوار وادي البارد منذ 6 أشهر، وتوقف نشاط المدرسة الفرنسية - العربية في تيزي نبشار منذ 3 أشهر فضلا عن أنها كانت تشتغل بمعلم واحد بدلا من اثنين، ويوجد في القرية الاستيطانية بخراطة 168 تلميذا تدرسه معلمة واحدة تعاني من مشاكل صحية، استخلفتها مؤقتا منذ 21 ديسمبر 1943 معلمة، لم تدرس ولو يوما واحدا إلى الآن!، كما توجد نقائص مشابهة في التعليم الرسمي بمركز الاستيطان بعين الكبيرة (Perigotville) حيث أن المدرسة الفرنسية ذات العشرين (20) تلميذا من بينهم خمسة (5) جزائريين توقف نشاطها منذ شهرين، لأن معلمها المعين رسميا في عطلة لظروف خاصة، ولم يستخلف بعد، أما المدرسة الفرنسية - العربية فهي بدورها معطلة لأن معلمها مجند في الخدمة العسكرية ولم يعوض قط إلى تاريخ كتابة هذا التقرير ...» 14.

2. التعليم العربي الحر التقليدي والحديث (الجزائري)

أما التعليم الحر (العربي - الجزائري)، فقد كان ينقسم إلى نوعين: أولهما تقليدي يلقن في الكتاتيب والزوايا المنتشرة في الدواوير (الفروع الإدارية الجزائرية)، أما ثانيهما فحديث يتمثل في ثلاثة مدارس ترعاها وتشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهي موجودة في مركز القرى الاستعمارية خراطة (Kerrata)، وبنبي عزيـز (Chevreul)، و عموشة.

أولا: التعليم العربي الحر (التقليدي)

انتشرت عدة زوايا، اختلفت فيما بينها من حيث الانتماء والشكل والمحتوى، وكلها تنتمي إلى الطريقة الرحمانية باستثناء واحدة تعود إلى الطريقة العمارية، بعضها يتشكل من كتاب واحد يدرس فيه القرآن، ويستقبل المريدين والزوار، وبعضها يرقى إلى مستوى المدرسة، فتدرس بها مبادئ القراءة والكتابة والقرآن، وعلوم الدين كالفقه واللغة و النحو إلى جانب القيام بإرشاد الناس وتفقيهم، وإقامة الصلوات، والفصل في الخصومات، والإصلاح بين المتخاصمين، ورعاية عابري السبيل والمعوزين.

وقد كانت أهم تلك الكتاتيب والمدارس الملحقة بالزوايا والمساجد في تراب البلدية خلال الحرب العالمية الثانية تتمثل في كتاب الحاج عمار بدوار منتانو الملحقة بزواوية مقدم الطريقة الرحمانية الشيخ الحاج عمار الأطرش،

وقام بمهمة التدريس فيها الشيخ معطي ابن الحسين ابن البشير ابن أحمد ابن عبد القادر ال يحيوي المدعو الشيخ «صالح» 15.

ولد الشيخ «صالح» في 10 يناير 1919، أبوه الحسين وأمه حليلة خرف الله بقرية الماعلي وأصلها ماء علي والتي تدعى أيضا عين سلطان نسبة إلى إحدى الينابيع المائية فيها، ومن أهم قرى دوار منتانو بلدية تيزي نبشار حاليا، وتعد قرية الماعلي من الناحية العلمية، من القرى الرائدة في بلدية تاقيطونت المختلطة، إذ تعرف في وسط القرى المجاورة بقرية القرآن الكريم، إذ أن جل سكانها يحفظونه و يعلمونه. 16.

نشأ الشيخ في عائلة محافظة ذات علم و ورع إذ كان أبوه من حفظة القرآن وإماما من أئمة القرية، كما كان قبله جده وجد أبيه. يعد الشيخ «صالح» من الثمار اليناعة لهذه العائلة وتلك القرية، حيث تفتحت أكامه عن ذكاء باهر و فراسة كبيرة، فأحب العلم وهام فيه وسعى في تحصيله وتعليمه، فقد حفظ القرآن في سن مبكرة جدا، كما صال وجال في أنحاء الوطن من زاوية إلى أخرى طالبا للعلم من أصول الفقه والتفسير والحديث و العقيدة، وقد حضى بنصيب وافر منه على يد علماء أجلاء، تخرجوا من الأزهر الشريف و جامع الزيتونة منهم: الشيخ محمد القاضي، الشيخ محمد أرزقي الأزهري، الشيخ أرزقي أبو يعلى، الشيخ سعيد فضلاء المدعو السعيد البهلولي والشيخ أحمد لخضاري رحمهم الله جميعا. 17.

وتتلمذ على يد الشيخ و حفظ القرآن المئات والكثير منهم يشغلون حاليا مناصب في السلك الديني من أئمة وخطباء مساجد و معلمين في المدارس القرآنية و المدارس العامة والثانويات، كما اشتهر الشيخ «صالح» بإمكانياته الخارقة في علم الإرث و الفرائض. 18.

بعد عودته من زاوية سيدي موسى بسيدي عيش سنة 1941 بدأ تعليم القرآن بمسقط رأسه ثم بزواية الحاج عمار الأطرش حتى استدعي للخدمة العسكرية الإجبارية. حيث جند كالألاف من الجزائريين للحرب العالمية الثانية وذلك سنة 1943 قضى مدة 9 أشهر بالجزائر ليواصل الخدمة بجزيرة كورسيكا إلى وقف إطلاق النار في ماي 1945 لينتقل إلى باريس حتى تسريحه في سنة 1946 بعد قضاء ثلاث سنوات في الجيش الفرنسي في فصيلة الدفاع الجوي. 19.

بعد تسريح الشيخ من الخدمة العسكرية، عاد إلى أرض الوطن ليستأنف رسالته ومسيرته العلمية ليمر على عدة محطات إلى ما بعد الاستقلال، وقد داع صيته في الأفق وقصده الكثيرون ممن سمع عنه وعن أعماله، وما زال

الشيخ صالح ملازما للانشغال بالعلم و قرأت القرآن والعمل بدقائق الورع
أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى دنى أجله ودعاه الحق في صبيحة يوم
عيد الفطر المبارك عند صلاة الفجر الموافق ليوم الأحد 14 نوفمبر 2004.

20

ويوضح الجدول الأتي أسماء أهم الكتاتيب الأخرى الموجودة في
مختلف مناطق البلدية، وأسماء الزوايا الملحقة بها، وأهم شيوخها
خلال الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945): 21

المكان	اسم الكتاب	الزاوية أو المسجد	المدرسون
البابو ر	الجـوادة	زاوية سيدي الجودي	الشيخ عاشور عراس
قرقو ر	بن علاق	زاوية سيدي بن علاق	الشيخ عبد الرحمن بن علاق
معاوية ة	القريني	زاوية الشيخ القريني	الشيخ عيساوي علاوة
وادي البارد	بن حافظ	زاوية الشيخ بن حافظ	الشيخ بوعوينات
جرموند ة	سيدي علي أوشان	مسجد برادامة	
قلعون	سيدي بوبكر	مسجد سيدي بوبكر	الشيخ سري الطيب
بني مرعي	سيدي عبد الرحمن	مسجد سيدي عبد الرحمن	
	سيدي تواتي	مسجد سيدي تواتي	
الدهامشة	بن زادي	زاوية سيدي لعزازي	الشهيدان الشيخان: البشير و الزروق بن زادي
عرباؤو ن	حكيمي	زاوية الحكماء	الشيخوخ: مجابدة علي، نواصري مختار، منيري الطيب، بوزيت عبد الرحمن .

والحق يقال بأن تلك المؤسسات القرآنية، والمساجد في بلدية تاقيطوننت
المختلطة قامت بدورها كمراكز إشعاع علمي وثقافي إلى جانب العبادة، ورغم
ما كان يعتري طرق التدريس فيها آنذاك من الجمود والخمود إلا أنها
استطاعت أن تحفظ الإسلام في ربوع البلدية بصيانة الكتاب الكريم من
الضياع والاندثار.

ثانيا: التعليم العربي الحر(الحديث)

تأسست ثلاثة مدارس عربية حرة، أثناء الحرب العالمية الثانية في بلدية
تاقيطوننت المختلطة، وكانت كلها تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين، فالأولى تأسست في القرية الاستعمارية خراطة في 28 أوت

[Tapez un texte]

1941، تحت مظلة جمعية أهلية محلية تسمى الجمعية الفرنسية - الإسلامية للتربية بخراطة، والتي ترأسها المرحوم سليمان يحي باشا، وتكفل بتسيير ماليتها الشهيد محند أعراب حنوز22، وكلف بالدعوة إلى أنشطتها الشهيد رياض محمد بمساعدة ابنه الشهيد عمر، والثانية مدرسة النجاح في بني عزيز التي أدارها الشهيد محمد الطيب حكيمي.23 والثالثة مدرسة عموشة التي كان يشرف عليها الشهيد عبد القادر بن علاق24 بمساعدة المرحوم زيغمي الحسين، وملحقتها مدرسة أولاد جابر والتي كان يشرف عليها المرحوم خليفة الهاشمي.

وقد كان الشيخ بلعربي الهادي المؤسس الحقيقي للمدرسة الأولى25 فهو من وجوه حركة الإصلاح البارزين في البلدية، بل وفي كل عمالة قسنطينة، أصله من بجاية، درس بالمدرسة مدة سنة كاملة ثم غادرها تاركاً مهمة مواصلة التدريس بالبلدة للشيخ شريف العربي بن حسين الذي جاء من دوار « ايورجوان » التابعة لبلدية سيدي عيش المختلطة (سيدي عيش حالياً)، وكان شيخ المدرسة الجديد قد تلقى تعليمه في زاوية بن سحنون الشهيرة الكائنة في دوار « بني و غليس » بنفس البلدية، وصنفته التقارير الأمنية الاستعمارية كسابقه من أنصار حركة الإصلاح الديني في الجزائر وتعني بذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.26

وكما نعلم كان تيار الإصلاح الديني بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محل شبهة لدى سلطات الاحتلال و تخشى منه، و عملت على مضايقة أنشطته، وقد ذكر حاكم البلدية الشيخ الهادي بلعربي في تقريره قائلاً: « ...توجهاته إصلاحية، لكنه يحترم السلطات المحلية، و يتجنب البروز أمام أعينها، نشاطه التعليمي قوي جداً، فهو لا يكتفي بتلاميذه القرآن (الكريم)، بل يعلمهم مواد أخرى كالجغرافيا، التاريخ، الحساب، النحو والصرف، ومن تلاميذه مجموعة بنات من بينهن واحدة عمرها خمسة عشرة سنة ونصف، وأخرى ستة عشرة سنة. صلاته بتلاميذه قوية فكثيراً ما يترجل مع أكبرهم سناً لمسافات طويلة بين خراطة ووادي المرسى مثلاً، وينظم في كل مناسبة دينية أو وطنية حفلات مدرسية يحضرها كل أولياء التلاميذ، ويتل التلاميذ القرآن وينشدون أناشيد حماسية دينية و وطنية ... » .27

وكان يساعده في مهمته التربوية الشهيد الربيع بوشامة الذي جاء إلى خراطة قادماً إليها من مسقط رأسه قنزات (Lafayette) ، وكلف بتدريس الفئة الصغرى من التلاميذ، كما أشار نفس التقرير إلى الدور التنظيمي الكبير الذي بدله الشهيد محند أعراب حنوز في المدرسة، حيث جاء فيه: « ... و يساعده شيخ المدرسة في مهمته التنظيمية المتعصب [هكذا] محند أعراب

حنوز، الطبيب المساعد في الملحقة الاستشفائية لمركز خراطة ... » .
ويبدو جليا غضب وقلق السلطة الاستعمارية المحلية من نشاط المدرسة
والمؤطين لها، من خلال العبارة التي وصفها لوصف رئيسها الشهيد حنوز
بالمتعصب.28

كما تأسست مدرسة عربية حرة ثانية، تنفذ البرنامج التربوي لجمعية
العلماء المسلمين الجزائريين في القرية الاستعمارية بني عزيز
(Chevreul)، أسستها هي الأخرى جمعية محلية اسمها بني عزيز إحياء
لاسم القبيلة الساكنة في محيط القرية الاستيطانية، وقد كان الشهيد الشيخ محمد
الطيب حكيمي رائدها29، ولاشك أنه كان يوجد تنسيق بينه وبين مدرسة
خراطة خاصة وأن من أبرز مؤسسيها الشهيدين رياض محمد وابنه عمر وهما
ينتميان لمشقة الرياضة في بني عزيز، وكانا قد لعبا دورا بارزا في تأسيس
مدرسة خراطة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.30

وقد تشرفت بلدية تاقيطونت المختلطة، خاصة بلدات خراطة، بني عزيز،
وعموشة بزيارة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلامة الشيخ
البشير الإبراهيمي أياما قبل تأسيس المدرسة ومكث بين أهل المنطقة يومين
كاملين، ولم يفوت حاكم البلدية الفرصة لكتابة تقرير عن وقائع الزيارة
للسلطات الإدارية والأمنية بعمالة قسنطينة محذرا من نشاط الحركة
الإصلاحية في البلدية بسبب تأثيرها المتزايد على نفوس الجزائريين و
قال: «...نتيجة هذه الأوضاع هو سيطرة أكبر فأكبر للفكر الإصلاحي على
نفوس الأهالي وحتى على اللذين كانوا أكثر وفاء للقضية الفرنسية، وقد
استطاع الشيخ البشير الإبراهيمي المجيء إلى خراطة حيث قضى يومين
كاملين بدون علمي، وأعرب السكان حينها عن ضرورة بناء مسجد، وقد
جمعت أموالا معتبرة لذلك الغرض. أعتقد أن مجيء الشيخ البشير الإبراهيمي
بصفته مفتش مدارس الطور الثانوي التابعة لجمعية العلماء كتلك التي بخراطة
ليس بدافع مشروع بناء مسجد بل أيضا الرغبة في التحكم على نشاط المدرسة
وإعطاء نفس جديد للتعليم باللغة العربية بالبلدية...31».

III. العلاقة بين نشاط المدارس العربية الحرة وانتفاضة ومجازر 8 ماي

1945 في البلدية

لاشك أن رواج وازدهار وتطور المدارس العربية الحرة التابعة
للجزائريين مقارنة بالتعليم الرسمي الفرنسي، أثناء الحرب العالمية الثانية في
إقليم البلدية المختلطة، كان له تأثيرا كبيرا على مجريات الأحداث عند انتهاء
الحرب، كما كان الحال في كل القطر الجزائري، وتجلى هذا التأثير في

اندلاع انتفاضة جزائرية عارمة ضد المستعمر وكل ما يرمز له في 8 ماي 1945، وكان الاقليم محل دراستنا هو الذي عرف أكبر هجمات الجزائريين المنتفضين على المعمرين و مصالحهم، كما تكبد الجزائريين في البلدية، خسائر جسيمة، ونالهم قمع شديد و دموي من الاستعمار و زبانياته، الذين استعملوا عنفا مفرطا و غير مبررا، و هو دليل قاطعا عن عنصرية مقبلة و حقد دفين للمعمرين نحو الجزائريين، و قد سجلنا، هذه الملاحظات و الاستنتاجات عن علاقة النشاط التربوي و التعليمي الرائع للجزائريين و تلك الأحداث المروعة و المؤلمة:

أولاً: ازدهار التعليم العربي الحر بنوعيه التقليدي و الحديث، على التعليم الرسمي في إقليم البلدية المختلطة محل دراستنا، في الفترة الممتدة من 1939 إلى 1945، و يبدو ذلك من تقارير حكم البلدية الفرنسيين، الذين أحزنهم هذا الوضع، و ما توقفوا عن دق ناقوس الخطر، و الاستجداء بالسلطات الاستعمارية العليا، بضرورة التدخل بأي كيفية لتغيير الوضع لصالح التعليم الفرنسي الرسمي.

ثانياً: جل العاملين في مجال التربية و التعليم سواء تعليما حرا عربيا تقليديا(الشيخ معطي الأطرش و آخرين) أو حديثا (الشيخ عبد القادر بن علاق، محمد الطيب حكيمي، محند أعراب حنوز ...)، تمتعوا بشخصية قوية، منها الحث على التمسك بمقومات الشخصية الجزائرية، و حبهم اللافت للنظر، لبني جلدتهم من الجزائريين فكانوا خدومين لهم (الكتلة الجزائرية من ساكنة البلدية)، فبدلوا من أجلهم كل عيـز عليهم، من وقت، و مال، بل حتى أرواحهم الزكية.

ثالثاً: معظم الذين ذكرناهم من الجزائريين العاملين في هذا الحقل النبيل والشريف في البلدية محل هذه الدراسة، تعرضوا للقتل المتعمد مع سبق الإصرار و التردد، و بوحشية نادرا ما تحصل، بواسطة ميلشيات المعمرين و مختلف فرق الجيش الفرنسي، أثناء مجازر 8 ماي 1945، و تغاضت السلطات القضائية الاستعمارية عن متابعة الجناة، بل تسترت عن جرائمهم بطريقة غريبة، كما فعل النائب العام على مستوى قضاء بجاية المسؤول عن منطقة سطيف قضائيا، عندما أخبر النيابة العامة بالجزائر العاصمة عن ختمه و غلقه للتحقيق في قضية العثور على جثث مقطعة للشهداء حنوز محند أعراب و أبناءه الأربعة، و هي مرمية في «وادي أغريون» بخراطة، و كانت حجته في ذلك أنه لم يعرف الجاني!، بينما كان شهد و علم الجميع في خراطة من معمرين و جزائريين، كيف أبيدت عائلة حنوز في الساحة العامة من طرف قوات اللفيـف الأجنبي(Legion étrangère) 32.

رابعاً: لم يكن استشهادهم نتيجة قتل عشوائى كما حدث فعلاً، فى أماكن عديدة من إقليم البلدية، بل كانوا مستهدفين، طيلة الحرب العالمية الثانية، كما تدل على ذلك التقارير الدورية التى كان يكتبها حاكم البلدية الممتزجة للسلطات الاستعمارية العليا المدنية و العسكرية، حيث كان يذكرهم بالاسم و يضع تحته خط ليدل عن خطورتهم من وجهة نظره، و يذكر تفاصيل دقيقة عن أحوالهم الشخصية، بل حتى عن صفاتهم الخلقية و الأخلاقية، و دقائق الأمور عن أنشطتهم التربوية كالبرامج و المواد المدرسة، و الاحتفال بمختلف المناسبات الدينية، و عن مواقفهم السياسية المشبوهة من وجهة نظره، و ينعته بمصفاة مختلفة، كالتعصب، أو المسبوقين قضائياً، أو أصحاب العواطف الوطنية – الإسلامية!

خامساً: رغم استشهاد أوليائك الأبطال، زرع نشاطهم بذورا أثمرت بعد حين، و تمثل ذلك فى الشباب الجزائرى الذى تربى و تعلم على أيديهم فى المدارس العربية الحرة، مبادئ الوطنية، و انظموا إلى الثورة الجزائرية الكبرى، فى الفاتح من نوفمبر 1954م، فخلصوا بلداتهم من الاستعمار الفرنسى و ظلمه، على غرار ما فعل شباب الجزائر من خريجي تلك المدارس أو غيرهم فى مناطق أخرى من وطننا الغالى.

فى ختام هذه الدراسة نستنتج، أن الاستعمار الفرنسى كان عدوا لأي مبادرة مهما كانت من شأنها أن تجعل الجزائريين يحسنون أو يطورون أوضاعهم و أحوالهم، ومنها التربية و التعليم، و مكافحة الجهل و الأمية، و قد كان فى البلدية رجال مخلصين تمتعوا بحيوية، و نشاط، و وعى نادر و مثير للإعجاب جلب لهم شأن و سخط المعمرين و السلطات الاستعمارية مدنية و عسكرية على السواء، و تعرض لهم للقتل و الإبادة بمعوية أسرهم الأبرياء أحيانا فى مجزرة 8 ماي 1945 و ما تلاه من أيام، و لكن شهادتهم لم تذهب سدا بل جعلت من استقلال الجزائر فى المنظور القريب أمرا محتوما ، كما حصل فعلا سنة 1962.

الملحق رقم 01 :

قرار حاكم عمالة قسنطينة، يرخص لفتح مدرسة خراطة العربية الحرة،
مؤرخ في 33 1941/08/28

PREFECTURE
DE
CONSTANTINE

Musulmans
AFFAIRES INDIGENES

ARRÊTÉ

Le Préfet du Département de Constantine,

Officier de la Légion d'Honneur,

Minute

Vu la demande formée par le nommé *Cheikh Belaribi el Hsi*:

en vue d'être autorisé à ouvrir une école coranique privée à *Kenata*
(*Takitount*);

Vu l'article 18 du Décret du 8 Décembre 1897;

Vu les avis favorables de M. *l'Administrateur de Takitount*
et M. l'Inspecteur d'Académie de Constantine;

ARRETE :

Article premier. — Le nommé *Cheikh Belaribi el Hsi*
est autorisé aux fins de sa demande, sous la réserve qu'il se conformera au
règlement sur l'enseignement privé lequel devra être placardé en français
et en arabe dans la salle de l'école. En second lieu, il ne devra pas recevoir
les enfants d'âge scolaire pendant les heures de classe des écoles publiques,
conformément aux prescriptions de l'article 55 du Décret du 18 Octobre 1892

Article 2. - M. *l'Administrateur de Takitount*
est chargé de l'exécution du présent arrêté.

Constantine, le *28 Aout* 1941.

P. LE PRÉFET,

LE SECRETAIRE GENERAL :

Ge. Delst.

Pour copie conforme et notification.

1° à M. *l'Administrateur de Takitount Penzotville*
s/c de M. le Sous-Préfet de *Sétif*
à toutes fins utiles.

2° A M. l'Inspecteur d'Académie de Constantine, pour son information.

Constantine, le *28 Aout* 1941.

P. LE PRÉFET,

Le Secrétaire Général,

Affaires Indigènes

N° *9956*

[Tapez un texte]

رسالة من وكيل الجمهورية في بجاية إلى وكيل الجمهورية لمحكمة الاستئناف في العاصمة، يخبره فيها طيه للتحقيق في قضية مقتل أفراد عائلة حنوز إثر اكتشاف جثثهم في «وادي أغريون» بحجة أن الجاني مجهول، مؤرخة في 1946/11/09.

34

**Le Procureur de la République à Monsieur
le Procureur Général près la cours d'Appel.**

ALGER

Comme suite à votre dépêche du **13 Mars 1946** n° **123756** et **3018** par laquelle vous me prescriviez d'ouvrir une information régulière dans une affaire relative à la découverte le **6** février dernier, dans les gorges de l'oued aghrioum (Kerrata) de cadavres de la famille Hanouz Arab. Dont six membres avaient disparu au cours des émeutes de mai **1945** j'ai l'honneur de vous rendre compte, que sur mes réquisitions conformes, Mr. Le juge d'instruction de mon siège a rendu, ce jour, une ordonnance de non lieu dans cette procédure ouverte, contre **x**, les consorts Hanouz, qui avaient été arrêtés pour leur participation aux émeutes, par des militaires venus pour rétablir l'ordre, avaient été tués ni quels étaient les auteurs de ces meurtres.

Bougie, le **9** Novembre **1946**

P. le Procureur de la République
Signé : illisible

Pour copie conforme

Le Procureur Général.

الملحق رقم 03 :

صور لرواد التعليم العربي الحر بنوعيه التقليدي و الحديث في بلدية تاقيطونت
المختلطة من 1939 إلى 1945. 35



صورة 02: الشهيد الطيب محند أعراب
حنوز (خراطة)



صورة 01: الشهيد عبد القادر بن علاق
(عموشة)

[Tapez un texte]



صورة 04: الشيخ معطي الأطرش
المدعو صالح (عموشة)



صورة 03: الشهيد محمد الطيب حكيمي (بني
عزيز)

الهوامش:

1-Maxime Champ : **La Commune Mixte d'Algérie** , Editions P. et G. Soubiron , Alger , 2^o édition revue et augmentée , p.22.

2-Didier Guignard : **La mise en place de l'administration coloniale en Algérie (1880 – 1914)** , colloque pour une histoire critique et citoyenne . Le cas de l'histoire franco – algérienne, 20 – 22 juin 2006, ENS LSH, 2007, <http://ens – web3.ens – lsh.fr/colloques/France – Algérie/communication.php3?id – article=280>

3-Cherif Benhabyles : **L'Algérie Française vue par un indigène**, Edition Fontana , Alger , 1914 , pp. 50 – 51.

4-Champ : op.cit., pp. 43 – 82.

5هي ترجمة للعبارة الفرنسية « Code de l'Indigénat » ، وهي مجموعة من القوانين الرهيبة الجائرة التي سنتها الإدارة الفرنسية سنة 1881 لتطبيقها على المسلمين الجزائريين دون غيرهم من سكان الجزائر من المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين، واللذين أطلقت عليهم اسم «Indigènes» أي الأهالي. ولقد حدد قانون الأهالي عند صدوره 41 مخالفة يعاقب عليها الجزائريون ثم انخفضت هاته المخالفات إلى 21 مخالفة عام 1891 لتستقر عند 23 مخالفة

[Tapez un texte]

من سنة 1904 إلى 1914. كما حددت مدة سريان مفعوله بسبع سنوات ولكنه سيمدد لنفس المدة عند نهاية كل أجل حتى سنة 1930 وهو تاريخ إلغائه بقرار إداري، لكن بقي سائر المفعول في الواقع حتى 1962. أنظر بهذا الصدد:

_ Isabelle Merle : **De la légalisation de la violence en contexte colonial. Le régime de l'indigénat en question**, in *Politix*, n°66 Volume 17 Année 2004, pp. 137 – 162.

6قبل 25 أوت 1880م، كان في تاقيطونت مكتبا عربيا، تأسس في 1856، و كان تابعا للحاكم العسكري في مدينة سطيف، و تولى قيادته كل من: النقيب كابدبيون (Capdepont) من 1858 إلى 1863، الملازم كينو (Queneau) من 1864 إلى 1865، الملازم بولوند (Bouland) من 1866 إلى 1867، النقيب رافان (Raffin) من 1868 إلى 1869، النقيب ماريشال (Maréchal) في 1870، النقيب بيدولت (Bidault) في 1871، الملازم أنقوت (Angot) في 1872، النقيب لانق (Lang) من 1876 إلى 1878، وقد كان النقيب برويير (Bruyère) أخر قائد للمكتب العربي في 1879، وذلك قبل تحول المكتب العسكري إلى بلدية مختلطة. أنظر:

- R. Peyronnet : **Livre d'or des officiers des Affaires Indigènes 1830 – 1930**, T.1 (Histoire et Annuaire), Imprimerie Algérienne, Alger, 1930.

7-A. Sicard : **Pratiques médicales, superstitions et légendes de la commune de Takitount**, in *Revue Africaine*, V. 55 Année 1911, A. Jourdan Libraire – Editeurs, Alger, pp. 61 – 62.

8-M. Alquier: **Notice concernant les Communes du Département de Constantine**, Vve D. Braham Imprimeur – Editeur, Constantine, 1927, p. 123.

9-Archives de la Wilaya de Sétif: **Monographie de la commune mixte de Takitount**, 1944, pp. 14 – 15.

10-Archives de la Wilaya de Constantine: **Monographie de la commune mixte de Takitount**, 1946, p.07.

11-Ibid.

12-A.W.C.: **Notice sur la commune mixte de Takitount**, 1940, p. 3.

13-Centre National des Archives d'Algerie: **Rapport de L'Administrateur de la commune mixte de Takitount, A Monsieur le Préfet de Constantine au sujet des écoles coraniques**, 03/02/1944, s.p.

14-Ibid.

15 أنظر: **الملحق رقم 02**، صورة (04) لمعلم المدرسة العربية الحرة التقليدية، الشيخ معطي الأطرش المدعو «صالح».

16 شهادة السعيد لطرش وهو شقيق أصغر للشيخ معطي المدعو «صالح» بعموشة، يوم الاثنين 12 / 11 / 2007 .

7 [نفسها.

18 نفسها.

19 نفسها.

20 نفسها.

21-A.W.S.: **op.cit.**

22 أنظر: **الملحق رقم 02**، الصورة (2) للشهيد الطبيب و الناشط في مجال الإصلاح محند أعراب حوز.

23-C.N.A.A. : **op.cit.**

24 أنظر: **الملحق رقم 02**، صورة (01) للشهيد المصلح عبد القادر بن علاق.

25 أنظر: **الملحق رقم 01**، قرار حاكم عمالة قسنطينة يرخص فتح مدرسة خراطة العربية الحرة، مؤرخ في 1941/08/28.

26-C.N.A.A.: **op.cit.**

27-Ibid.

28-Ibid.

29 أنظر: **الملحق رقم 02**، الصورة (03) للشهيد محمد الطيب حكيمي المصلح والكشاف في بني عزيز.

[Tapez un texte]

30-C.N.A.A. : **Rapport du Centre d'Informations et d'Etudes sur la commune mixte de Takitount**, 10/04/1942, s.p.

31-C.N.A.A.: **Rapport de L'Administrateur de la commune mixte de Takitount, A Monsieur le Préfet de Constantine au sujet des écoles coraniques**, s.p.

32 أنظر: **الملحق رقم 02**، رسالة من النائب العام لقضاء بجاية إلى النائب العام للقطر الجزائري، عن إقفاله التحقيق في قضية العثور على جثث مرمية في «وادي أغريون» بخراطة لأسرة حنوز.

33-A.W.C. : **Arrêté du Préfet du département de Constantine autorisant cheikh Belaribi el hadi a ouvrir une école prive a Kerrata**, daté le 28 aout 1944.

34-C.N.A.A : **Rapport du Procureur de la République de Bougie au Procureur Général près de la cours d'Appel d'Alger sur les conclusions de l'information régulière relative à la découverte de cadavres de la famille Hanouz**, fait à Bougie le 09/11/1946.

35الأرشيف العائلي: عائلة بن علاق، عائلة حنوز، عائلة حكيمي، عائلة الأطرش.